يقول حليم بركات « فجأة يتداعى الى ذهنه ان بلاده هولندي طائر . أصوات الكلاب تشبه أصوات البحارة عندما رأوا البر . أمس كان يصغي لهذه الاوبرا التي استوحاها فاغنر من أسطورة تدور حول سفينة مسحورة لا يمنكها الوصول الى ميناء ، وهي لا تزال تبحر منذ الازل . كان الهولندي الطائر قد اقسم انه سيدور حول جبل تحيط بـه العواصف العاتية . وان اضطر ان يبحر حتى يـوم القيامـة . وغضبت الالهـة أو الشياطين عندما سمعت قسمه فحكمت عليه أن يبحر منفيا الى الابد ولن تحل عنـه هذه اللعنة ما لم يجد امراة تخلص له حتى الموت . الشياطين لا تؤمن بالمراة، فسمحت للهولندي الطائر بالعودة الى البر كل سبع سنوات ليبحث عن امراة تخلص لـه حتى الموت . مسكين هذا الهولندي الطائر في كل مرة زار البر ، كان يعود الى البحر اكثـر بأسا وخيبة . انه اليوم متعب من نفيه وتجواله العبثي اكثر من أي وقت مضى »(٢٣).

هذه هي قصة الهولندي الطائر . وهي تأخذ دلالتها الرمزية اذ تواكب سير احداث القصة فتكون مهمتها هنا توضيح المواقف . فاذا كان الهولندي الطائر يأخـذ فرصـة لايجاد امراة مخلصة كل سبع سنوات فان الفلسطيني المنفي يأخذ فرصة للعثور على المنقذ كلما تعلن حرب جديدة ويمتزج الرمز بالواقع حينما يقول حليم بركات « الحرب اعلنت الان . الهولندي الطائر يرى البر . مرة اخرى يشرق الامل . صخور شاهقـة ترتفع من بعيد . يبدو ان السفينة تستطيع ان ترسو بأمان . أصوات البحارة تشـق السماء اصوات طلاب الجامعة في بيروت امواج صاخبـة تتلاطـم وتتعالى مهللـة للعودة »(٢٤).

وهكذا تحمل قصة الهولندي الطائر في طياتها قصة العربي وحرب ١٩٦٧م . لقـد اعطى العربي فرصة جديدة في حرب ١٩٦٧ لايجاد المنقذ فكان يحمل الامل في النصر ، كما كان الهولنـدي يحمل الامل ، في ايجاد المراة المخلصة . ولكن الحرب لا تكون في صالحه . والهولندي الطائر حينما ينزل الى البر ، لا يجد المراة المخلصـة . ويعـود العربي نتيجة ذلك مدحورا ويحمل املا جديدا ، في فرصة جديدة ، ليجد المنقذ ، ويحقق النصر . كذلك يعود الهولندي الطائر الى البحر ليدور من جديد بانتظار فرصة جديـدة لعله يلتقي بالمراة المخلصة .

واستخدم الكاتب دلالة الالهة التي غضبت على الهولندي الطائر رمزا للاستعمـار الذي لا يسمح للارادة العربية بالتحرر ولا يرضى لها سوى الخضوع « الالهة لا تريد الهولندي الطائر ان ينعم بالسلم في بلاده . الالهة لا تريد السلم للذيـن لا يخضعون لارادتها . الذين حكموا على الهولندي الطائر بالعذاب الابدي هم أنفسهم الذين حكموا عليه أن ينسلخ عن بلاده وان تنسلخ بلاده عن وجودها ، وتقذفـه فوق البحر نحـو الغرب . الالهة لا ترغب ان يستقل البشر ويتحرروا . تريدهم بلا كبرياء وتقول لهـم ان يتمنعوا عن اكل التفاحة »(٢٥).

ان الاستفادة من هذه الاسطورة بدلالتهـا الرمزية ، واكبه كذلـك استفادة من الموروث الشعبي حيث اخذ قصة « الضبع والعروس » واكسبهـا دلالات رمزيـة ، فالقصة في الموروث الشعبي تحكي بأن هناك عرسا ، وركبت العـروس الحصـان ، وفي الطريق هجم عليها ضبع كبير وخطفها وحملها للمغارة . وينهشها الضبع ، فيسمع عريسها بذلك فيتناول بندقيته ، ويطلق الرصاص على الضبع ، فلا يصيبه . ويخرج الضبع ، ويهاجم العريس ، فيطلق النار عليه ولا يصيبه . ويركض العريس ، ويتسلق شجرة ليحتمي من الضبع . ويقوم الضبع بملامسة الشجـرة . يتبول ويرش علـى العريس ، الذي انضبع . فينزل عن الشجرة ، ويتبع الضبـع الـذي يلطـم رأس